(( أغرب الوصايا ))

الشيخ/ عبدالله بن محمد حفني

إمام وخطيب جامع هيا العساف بالجميزة

الأولى

أغرب الوصايا ..

هل سمعتم معاشر الصائمين بالوصيّة الغريبة العجيبة ؟

هل وقفتم على أغرب وصيّة أوصى بها ميّت أبنائه عند موته ؟

‘استمعوا لهذا الرجل الذي حضره الموت ويئس من الحياة، واستدبر الدنيا، وقرب من عالم الآخرة، فأوصى أهله وأبنائه إذا مات أن يجمعوا له حطباً كثيراً ثم يوقدوا ناراً ثم يلقوه في النّار، حتى إذا أكلت النّار لحمه وصار عظاماً يبساً، طحنوه، وسحقوه ثم ألقوه في يوم صائفٍ وسط ريحٍ عاصفٍ في البّر والبحر .

إنها قصّة صحيحةٌ أخرجها البخاري ومسلم قصّةٌ لرجلٍ أنعم الله عليه بالمال والولد فعصى الله بنعمه وغرق في الذنوب طيلة حياته ولَمْ يَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ ولم يفق إلّا ملك الموت يقرع بابه، ويدعوه إلى الرحيل، فتذكّر لقاء الله فخاف خوفاً شديداً، وأيقن أنّ الله شديد العقاب فأراد أن يهرب من عذاب الله .

فتعالوا معي.. تعالوا معي معاشر الصائمين لنطوي صفحات التاريخ، ونقف على مشهد رهيب وحدث نادر عجيب حدّث به النبي أصحابه يوماً فقال: ((أنّ رجلاً كان قبلكم "أعطاه الله مالاً وولداً" فَقَالَ لِبَنِيهِ لَمَّا حضره الموت: أَيَّ أَبٍ كُنْتُ لَكُمْ؟ قَالُوا: خَيْرَ أَبٍ، قَالَ: فَإِنِّي لَمْ أَعْمَلْ خَيْرًا قَطُّ، فَإِذَا مُتُّ فَأَحْرِقُونِي، اجْمَعُوا لِي حَطَبًا كَثِيرًا، وَأَوْقِدُوا فِيهِ نَارًا، حَتَّى إِذَا أَكَلَتْ لَحْمِي وَخَلَصَتْ إِلَى عَظْمِي، فَخُذُوهَا فَاطْحَنُوهَا، ثُمَّ انْظُرُوا يَوْمًا رَاحًا (شديد الريح) فَاذْرُوهُ فِي اليَمِّ، وفي رواية ((ذروا نصفه في البرّ ، ونصفه في البحر)) فَوَاللَّهِ لَئِنْ قَدَرَ اللَّهُ عَلَيْهِ لَيُعَذِّبَنَّهُ عَذَابًا لاَ يُعَذِّبُهُ أَحَدًا مِنَ العَالَمِينَ، فلمّا مات الرجل فعل الأبناء ما أمرهم أبوهم به، فَأَمَرَ اللَّهُ البَحْرَ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، وَأَمَرَ اللَّهُ البَرَّ فَجَمَعَ مَا فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: لِمَ فَعَلْتَ هذا؟ قَالَ: مِنْ خَشْيَتِكَ يا رب وَأَنْتَ أَعْلَمُ، وفي رواية «فَجَمَعَهُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ، فَقَالَ: مَا حَمَلَكَ على هذا؟ قَالَ: مَخَافَتُكَ يَا رَبِّ، فَتَلَقَّاهُ بِرَحْمَتِهِ».

لقد خاف هذا الرجل من ربّه خوفاً شديداً، فزيّنت له نفسه أن يهرب من عذاب الله، فجاء بأولاده وذكّرهم بإحسانه إليهم ورعايته لهم، وحدّثهم بغمّه وهمّه، وذنبه وجرمه، وأنّه يخشى لقاء الله فأمر بحرقه ونشره في البر والبحر .

لقد غفل هذا المسكين عن قدرة الله القويّ المتين وأنّ الله سبحانه يبعث عباده في يوم القيامة، ومنهم من أكلته أسماك البحار، والطيور المفترسة، ووحوش البراري .

فيجمعهم الله عزّ وجل من بطون الأسماك، وحواصل الطير، وبطون السباع

ﭽ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﯸ ﯹ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﰁ ﰂ ﰃ ﰄ ﭼ مريم: ٩٣ - ٩٥

قال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - : (( لقد اعتقد هذا الرجل أَن الله لَا يقدر على جمعه إِذا فعل ذَلِك أَو شكّ وَأَنه لَا يَبْعَثهُ وكل من هذَيْن الاعتقادين كفر يكفر من قَامَت عَلَيْهِ الْحجَّة لكنه كَانَ يجهل ذَلِك وَلم يبلغهُ الْعلم بِمَا يردهُ عَن جَهله وَكَانَ عِنْده إِيمَان بِاللَّه وبأمره وَنَهْيه ووعده ووعيده فخاف من عِقَابه فغفر الله لَهُ بخشيته)) الاستقامة (1/164) .

وقال رحمه الله في مجموع الفتاوى (12/491) : قَدْ عَمِلَ الرجل عَمَلًا صَالِحًا - وَهُوَ خَوْفُهُ مِنْ اللَّهِ أَنْ يُعَاقِبَهُ عَلَى ذُنُوبِهِ - فغَفَرَ اللَّهُ لَهُ بِمَا كَانَ مِنْهُ مِنْ الْإِيمَانِ بِاَللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْعَمَلِ الصَّالِحِ.

الله أكبر يا عباد الله إنه الخوف.. الخوف يا عباد الله..

الخوف من الله، الخوف من عقاب الله، الخوف من إمهال الله، الخوف من سوء الخاتمة وسوء المنقلب، الخوف من مكر الله وبطشه،

لقد أسرف الرّجل على نفسه وغرّه طول الأمل، ووقع في حبائل الشيطان فلمّا حضره الموت تمكّن خوف الله من قلبه وبدأ يندب نفسه كيف عصيته؟

كيف تجرأت على محارمه؟ كيف نسيت رقابته ومعيّته؟

أليس هو المنعم الخالق؟ أليس هو الجبار القاهر؟

أليس هو الذي يرى ويسمع وينعم ويعطي؟

أليس هو القائل: ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩ ﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱ ﯓ ﯔ ﯕﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜﯝ ﯞ ﯟ ﯠﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦ ﭼ المائدة: ١٧

إن هذا الموقف العظيم لهذا الرجل يذكرنا بأن الخوف من الله هو الذي يربي القلوب ويعصم النفوس الخوف من الله من سمات المؤمنين ﭧ ﭨ ﭽ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭼ آل عمران: ١٧٥ وﭧ ﭨ ﭽ ﮚ ﮛ ﮜ ﮝ ﭼ المائدة: ٤٤

وﭧ ﭨ ﭽ ﭻ ﭼ ﭼ البقرة: ٤٠ ومدح سبحانه الخائفين في كتابه فقال: ﭽ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﯲ ﯳ ﯴ ﯵ ﯶ ﯷ ﭼ النازعات: ٤٠ - ٤١

قال ابن كثير يرحمه الله: خَافَ الْقِيَامَ بَيْنَ يَدَيِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، وَخَافَ حُكْمَ اللَّهِ فِيهِ، وَنَهَى نَفْسَهُ عَنْ هَوَاهَا، ورَدها إِلَى طَاعَةِ مَوْلَاهَا .

وﭧ ﭨ ﭽ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭼ الرحمن: ٤٦

وﭧ ﭨ ﭽ ﯳ ﯴ ﯵﯶ ﭼ آل عمران: ٢٨

وقال سبحانه: ﭽ ﯺ ﯻ ﯼ ﯽ ﯾ ﯿ ﰀ ﭼ المؤمنون: ٥٧

لقد جاء القرآن بمواعظ لمن اتعظ وذكرى لمن تذكّر فقال سبحانه: ﭽ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﯤ ﯥ ﯦﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱ ﭼ الأنعام: ٥١

ﭽ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﯢ ﯣ ﭼ ق:45

وأخبر سبحانه عن الحجارة الصم الصلاب فقال ﭽ ﮣ ﮤ ﮥ ﮦ ﮧ ﮨ ﮩﮪ ﮫ ﮬ ﮭ ﮮ ﮯ ﮰ ﮱﯓ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚﯛ ﯜ ﯝ ﯞ ﯟ ﯠ ﯡ ﭼ البقرة: ٧٤ قال مجاهد : كُلُّ حَجَرٍ يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْمَاءُ أَوْ يَتَشَقَّقُ عَنْ مَاءٍ، أَوْ يَتَرَدَّى مِنْ رَأْسِ جَبَلٍ، فَهُوَ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ، نَزَلَ بِذَلِكَ الْقُرْآنُ . تفسير الطبري (2/136) .

الخوف من الله شجرة طيبة إذا نبت أصلها في القلب صارت فروعها للجوارح فأتت أكلها بإذن ربها وأثمرت عملا صالحا وقولا حسنا وسلوكا قويما ومثلا كريما.

الخوف من الله يهذب القلب ويحرق الشهوات.

بالخوف من الله ينتفع القلب بالنذر والمواعظ ﭽ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﮃﮄ ﮅ ﮆ ﮇ ﮈ ﮉ ﮊ ﮋ ﮌ ﭼ الزمر: ٢٣

قَالَ أَبُو سُلَيْمَانَ الداراني -رحمه الله- : مَا فَارَقَ الْخَوْفُ قَلْبًا إِلَّا خَرِبَ، وَقَالَ إِبْرَاهِيمُ بْنُ سُفْيَانَ: إِذَا سَكَنَ الْخَوْفُ الْقُلُوبَ أَحْرَقَ مَوَاضِعَ الشَّهَوَاتِ مِنْهَا . مدارج السالكين (1/509) .

فما أظلم القلب إذا خلى من الخوف من الله، ما أعمى القلب إذا أصبح يخاف من كل شيء إلا من الله تعالى فيهيم في ظلمات المعاصي ويقترف الخطايا والموبقات وينتهك حرمة الزمان والمكان وينسى أنه في البلد الحرام بل وفي شهر رمضان فيأتي الخطايا دون حساب ولا خوف ولا عقاب والله تعالى يقول ﭽ **ﭯ ﭰ ﭱ ﭲ ﭳ** ﭼ الرحمن: ٤٦

قال مجاهد: هُوَ الرَّجُلُ يَهُمُّ بِالْمَعْصِيَةِ فَيَذْكُرُ اللَّهَ فَيَدَعُهَا مِنْ خَوْفِهِ. فتح القدير (5/168) .

ورب الكعبة ما كثرت الذنوب ولا أظلمت القلوب إلا لقلة الخوف من علام الغيوب، تحيط بنا العبر تكثر الحوادث تعظم الكوارث، والقلوب هي القلوب والنفوس هي النفوس قلوب تحجرت، أحاسيس تبلدت، لا قلب يخشع، ولا عين تدمع، أين الخوف من الله؟ أين الخوف من عقاب الله؟ استمع ماذا يقول الله تعالى عن الملائكة المقربين ﭽ ﯔ ﯕ ﯖ ﯗ ﯘ ﯙ ﯚ ﯛ ﯜ ﭼ النحل: ٥٠

وقال سبحانه ﭽ ﭳ ﭴ ﭵ ﭶ ﭷ ﭸ ﭹ ﭺ ﭻ ﭼ ﭽ ﭾ ﭿ ﮀ ﮁ ﮂ ﭼ الأنبياء: ٢٨

ورأى النبي الملك العظيم جبرائيل عليه السلام ليلة أسري به ، فكيف رءاه ؟

يقول رَسُولُ اللَّهِ : « مَرَرْتُ لَيْلَةَ أُسْرِيَ بِي عَلَى جِبْرِيلَ فِي الْمَلَأِ الْأَعْلَى كَالْحِلْسِ الْبَالِي مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ» رواه ابن عاصم في السنة وصححه الألباني . السنة (1/276) .

وتأمّل ما يقوله سيد الثقلين ﭽ **ﭡ ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ** ﭼ الزمر: ١٣

لقد خاف فقام في ظلمة الليل يناجي ربّه باكيا ساجدا داعيا حتى تفطّرت قدماه ولجوفه أزيزٌ كأزيز المرجل من البكاء ، وهذا علي بن أبي طالب العالم العابد الخائف يصف أصحاب رسول الله فيقول : لَقَدْ رَأَيْتُ أَثَرًا مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ، فَمَا أَرَى أَحَدًا يُشْبِهُهُمْ، وَاللهِ إِنْ كَانُوا لَيُصْبِحُونَ شُعْثًا غُبْرًا صُفْرًا، بَيْنَ أَعْيُنِهِمْ مِثْلُ رُكَبِ الْمِعْزَى، قَدْ بَاتُوا يَتْلُونَ كِتَابَ اللهِ، يُرَاوِحُونَ بَيْنَ أَقْدَامِهِمْ وَجِبَاهِهِمْ، إِذَا ذُكِرَ اللهُ مَادُوا كَمَا تَمِيدُ الشَّجَرَةُ فِي يَوْمِ رِيحٍ، فَانْهَمَلَتْ أَعْيُنُهُمْ حَتَّى تَبُلَّ وَاللهِ ثِيَابَهُمْ، وَاللهِ لَكَأَنَّ الْقَوْمَ بَاتُوا غَافِلِينَ " حلية الأولياء وطبقات الأصفياء (1/76) .

معاشر الصائمين ..

هلّا تساءلنا وقد أوشك شهرنا أن ينتصف عن مقام الخوف من الله في قلوبنا ؟

فليس الخائف من الله من يبكي ويمسح عينيه ، إن الخائف من الله حقاً من اتقى ما حرّم الله عليه وحافظ على ما أمره الله عليه .

الخائف من الله حقاً من حجز نفسه عن المحارم ظاهراً وباطناً، الخائف من الله حقاً من لم يأكل حرامًا, ولم يكسب حرامًا, ولم يشهد زورًا, ولم يحلف كذبًا, ولم يخلف وعدًا, ولم يخن عهدًا، ولم يمش في نميمة, ولم يهجُر مساجد الله, ولم يتخلّف عن صلاةِ الجماعة, ولم يقتل عمره في اللهو والغفلة. خاف حقَّ الخوف من أقام الصلاة, وآتى الزكاة, وصام فرضه, وأطاع ربّه, ووصَل رحمَه, وأمر بالمعروف, ونهى عن المنكر, وأعطى كلَّ ذي حقّ حقّه.

أين مقام الخوف من الله في نفوسنا؟

فأين نحن من قوله ﭽ **ﭢ ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ** ﭼ الزمر: ١٣

الخائفون إذا سمعوا آيات الله تتلى وجلت قلوبهم، الخائفون إذا سمعوا آيات الله تتلى لانت قلوبهم وفاضت دموعهم، الخائفون إذا مسّهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون، الخائفون هم الرجال الذين قال الله عنهم ﭧ ﭨ ﭽ **ﭑ ﭒ ﭓ ﭔ ﭕ ﭖ ﭗ ﭘ ﭙ ﭚ ﭛ ﭜ ﭝ**ﭼ النور: ٣٧

لماذا لا تشغلهم دنياهم عن دينهم؟ لماذا يقيمون الصلاة ويؤتون الزكاة؟

يخافون... يخافون يوما تتقلب فيه القلوب والأبصار: ﭽ **ﯦ ﯧ ﯨ ﯩ ﯪ ﯫ ﯬ ﯭ ﯮ ﯯ ﯰ ﯱﯲ** ﭼ الزمر

الثانية

معاشر الصائمين ..

تقبّل الله منّا ومنكم ، حدّث نبيّكم عن السبعة الذين يظلهم الله في ظله عن رَجُلٌ دَعَتْهُ امْرَأَةٌ ذَاتُ مَنْصِبٍ وَجَمَالٍ ، تيسرت له سبل الغواية، دعاه الداعي إلى الفاحشة، أحاط به الإغراء الجنسي بكل صوره، امتحان رهيب، امرأة فاتنة جميلة تقف لشاب في ريعان شبابه واكتمال شهوته وقوته، تدعوه لنفسها، وتؤمنه بمنصبها، فالشباب يقويه، والجمال يغريه، والمنصب يسليه، وإبليس يغريه، والفتاة تناديه هيت لك فيضج الشاب بنداء الخشية والإيمان إني أخاف الله يا لها من كلمة، إني أخاف الله نعم.. نعم معاشر الصائمين القائمين إني أخاف الله هي.. هي التي يريدها الله منا في رمضان هذه هي التقوى إني أخاف الله من أجلها نصوم ونجوع، من أجلها تظمأ الأحشاء، إياك أن تظن أن نصوم لكي نجوع، إياك أن تظن أن نصوم لكي نعطش ونتعب لا لا ورب الكعبة فالصيام مدرسة، الصيام تزكية وتهذيب ﭽ **ﭣ ﭤ ﭥ ﭦ ﭧ ﭨ ﭩ ﭪ ﭫ ﭬ ﭭ ﭮ ﭯ ﭰ** ﭼ البقرة: ١٨٣ لعلكم تخافون الله لقد اختل ميزان الخوف من الله في قلوبنا في تعاملنا مع ربنا في تعاملنا مع أنفسنا في تعاملنا مع الناس في بيعنا وشرائنا في تربيتنا لأولادنا في أداء أماناتنا.

اختل ميزان الخوف من الله في إعلام فاسد أفسد على الصائمين صيامهم وأصبح شهر رمضان شهر غناء وتمثيل وطرفة.

اختل ميزان الخوف من الله في نفوس بعض الصائمين الذين لم تكف ألسنتهم عن السب والشتم والكذب واللعن.

أخي الصائم الخوف من الله هي والله رسالة الصيام إلينا وها نحن نودع الثلث الأول من رمضان فكيف نرى قلوبنا؟ كيف نرى خوفنا من ربنا؟ يحدّث أبو هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ فيما يَرْوِيه عَنْ رَبِّهِ جَلَّ وَعَلَا: «وَعِزَّتِي لَا أَجْمَعُ عَلَى عَبْدِي خَوْفَيْنِ وَأَمْنَيْنِ، إِذَا خَافَنِي فِي الدُّنْيَا أَمَّنْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِذَا أَمِنَنِي فِي الدُّنْيَا أَخَفْتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواه ابن حبان في صحيحه وصححه الألباني في السلسلة رقم 742 .